14 me Année No. 685

Lundi—19—8—1946

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة

مـ

١٠٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ٢٠ مليا

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٦٨٥ « القاهرة فى يوم الإثنين ٢٢ رمضان سنة ١٣٦٥ — ١٩ أغسطس سنة ١٩٤٦ » السنة الرابعة عشرة

معجزة تولد وتموت ...!

للأستاذ عباس محمود العقاد

تسامع الناس فى العالم العربى بقصة « الانسان النزالى » الذى وجده الصيادون فى بادية الشام منذ أسابيع .

ولا نعيد القصة ، ولكننا نسجل الأعاجيب التى انطوت عليها لو صحت روايتها الأولى :

وهى أن ذلك الانسان النـزالى — وهو طفل فى الثانية عشرة — كان يسبق السيارات ويعدو مع النزلان بسرعة ثمانين ألف متر فى الساعة ، ونزل بعضهم بهذه السرعة إلى خمسين ألفاً وهى ليست بالشىء القليل ؛ لأنها خمسة أضعاف السرعة التى يستطيعها العدّاء الرياضى بعد المرانة العلمية والاجتهاد الطويل .

والأعجوبة الأخرى أن هذا الطفل قد تبنته ظبية فى البادية وتعهدته بالرضاع والحضانة حتى نما وكبر وأصبح يهيم معها فى البادية كما يتبع الخشف أمه فى أسراب الفلاة .

وتمت الأعجوبة بوصف شفتى الطفل ووصف قدميه . فان بعضهم أبى إلا أن يجعلها « حيوانية » فى كل شىء . فالشفتان مشقوقتان لا تتكلمان ولكن تبغمان ... والقدمان ظلفان أو أشبه الأقدام بالأظلاف .

وأسرع الناس إلى التصديق ، وأسرع المتشوفين إلى الإضافة والتعليق ، وأوشكت أسطورة الأسبوع أو الأسبوعين أن تفوق فى الغرابة أساطير المئات والألوف من السنين .

ولا عجب فيما قيل من أن الطفل كان يأكل الحشائش والأعشاب ويستطيبها ، وأنه ظل فى المستشفى الذى نقل إليه معرضاً عن الطعام الذى يأكله الآدميون . فان الآدميين يأكلون ألواناً من العشب والخضر فى الحاضرة ويكتفون بها عند الضرورة وقد يستطيبونها ويكتفون بها لغير ضرورة .

ولكن العجب كل العجب فى تلك السرعة المزعومة ، وفى تبنى الحيوان للطفل الانسانى بغير إرشاد وتدريب . فقد يحدث هذا برياضة الحيوان عليه زمناً يطول أو يقصر ، ولكنه لا يحدث فى البادية من حيوان بين قطيع يظل وحده متكفلا بالرضاع بين سائر إخوته . فأما إذا كان القطيع كله مشتركا فى الرضاعة على التناوب فذلك أعجب ما روى من ضروب الكفالة الحيوانية بالاجماع .

وتساءل المعنيون بالرياضة عندنا عن السر فى تلك السرعة وهم بين مصدق ومكذب ، فقال بعضهم : لعلها غريزة الجماعة الحيوانية تسرى بعدوى اللازمة من الحيوان إلى الانسان !

وقال غيره : لعل السر فى الحشائش والأعشاب التى قصر عليها الغلام غذاءه . فهى على ما يظهر أصلح لمرونة المفاصل والعضلات من اللحوم والأغذية المطبوخة التى يأكلها الرياضيون !

والواقع أن اللحوم لا تعوق آكلها عن العدو لأن كلب الصيد من أسبق الأحياء عدواً وأصبرها على الجرى الطويل ؛

ولأن العرب كلن فيهم عداءون لعلهم لم يأكلوا شيئاً غير اللحوم والألبان ، وإن أكلوا الحبوب والخضر ففي الندرة بين الحين والحين .

ونعرف في أعلى السودان قبائل قد اشتهر أبناؤها بعبور الصحراء ، أو — المتمور — كما اشتهروا بالجلد على الجرى والركوب وهم يأكلون اللحوم ويعافون كل « مُلاح » أو كل خضر مطبوخ معالج بالملح على الطريقة السودانية . ومن كلام شاعرهم يفتخر :

« ولا نشرب المدام نسكر ولا بنا كل الملاح لاخضر »

وفيما بيننا أمثلة غير قليلة على السباقين من آكلى اللحوم أو الذين لا يصومون عنها على الأقل لغرض من هذه الأغراض .

فليس في الظنون والأوهام — فضلا عن الحقائق والمعلومات — تفسير صالح لتلك الأعجوبة المزعومة أو تلك المعجزة التي شاء الله أن تصاب « بالسرعة » في الزوال ، وهي سرعة لا تؤذن بالجدال

فبينما الناس في هذا التساؤل إذا بمندوب المصور في بيروت يزور الصبي في مستشفى « ابن سينا » الذي نزل فيه بدمشق فلا يلاحظ عليه شيئاً من الشذوذ ، وقد ابتسم الصبي له وأظهر له قدميه فلم تكن بهما خشونة مستغربة ؛ بل كانت لهما نعومة كنعومة أقدام الأطفال . وعلم المندوب من الطبيب « أن الصبي مر بالدور العادى في طفولته ، وأن أمه أرضعته حتى فطمته ، وأن قصة رضاع الغزالة وهم وخرافة » .

وقد فسر مدير الصحة العامة بدمشق هذه الحادثة بأن الصبي قد تاه في الصحراء ، وربما تعلق بسيارة وصلت به إلى الموضع الذي وجد فيه ، أو ربما خرج في صحبة بعض البدو ثم ضل الطريق ، ولا يستدل منه على حقيقة الأمر لأن المسكين مصاب ببكم قديم ... ولعله ينطق بعد العلاج .

وهكذا ماتت الخرافة في سرعة جديرة بموضوعها لائقة بشأنها ، فتلقى الناس موتها بالأسف والخيبة لأنه حرمهم أعجوبة طريفة ، وهم لا يشبعون من الأعاجيب حتى في عصر الأعاجيب ، وأخصها السرعة التي يصح فيها قول أبي العلاء :

ولما لم يسابقهن شيء من الحيوان سابقن الظلالا

فهم يودون لو تنقلب الدنيا كلها أعاجيب على شريطة أن تحفظ فيها « معجباتها » ، ولا تصبح كعجائب المتنبي التي كثرت حتى لا عجائب فيها . وليتهم يجربون هذا الانقلاب أسبوعاً واحداً ليعلموا أن الوقائع والمألوفات لها « قيمة » حقيقة بالعرفان فلا يتبطروا عليها !

والظريف حقاً في قصة هذا الصبي أننا رأينا له صورتين . فاذا هو أشبه إنسان بملامح غزال ؛ سواء في دقة الجوارح أو في تركيب الجمجمة أو النظرة المجفلة والوجه المسنون . فلو ظهرت خرافته في عصر من العصور الوسطى لكانت هذه الصورة مصداقاً لكل إشاعة من إشاعات الخرافة المختلفة ، فيقول من شاء إن لبن الرضاع ينقل الشبه من الحيوان إلى الانسان ، ويقول من شاء إنه مولود غزالة بخارقة من الخوارق ، ويكون حظه من التصديق والإعجاب أتم وأعظم من حظ القائل بانتقال الملامح مع الرضاع ، بل يحق له حينئذ أن يشهر سيف التكفير على من ينكر هذه الخارقة ويشك في إمكانها ، لأنه يستكثر تلك الخوارق على قدرة الله .

ومن خصائص هذه الحالة في عصرنا أن تقع في أيدي الأطباء الذين يعرفونها ويفسرونها وقد يوفقون لعلاجها ، ولكنها لو تقدمت في الزمن لكان أكبر الظن أن تقع في أيدي المشعوذين الذين يستغلونها ويبالغون فيها ويجدون من إشاعات الناس التي يتطوعون بها ما يزيدها ويساعد على ترويجها — فهذا الطفل إذن قديس مبارك قد أعده الله للولاية في البرية وحرمه النطق ليكتم أسرار الغيب ولا يبوح بها إلا بترجمان على حسب الوحي والتقدير ، وهذا البكم هو اللثة التي يفسرها الحواريون المحيطون به ولا يقدر غيرهم على تفسيرها ، وهذه الظبية — ويحضرونها يومئذ في صحبته ! — هي أم القديس التي خصت من بين الحيوان بهذا الشرف العظيم ، ويباع شعرها بل بعرها للبركة « كأنه حب فلفل ... » أو يزيد .

وينقضي عمر الطفل وتنطوي بعده الأيام ، فاذا هو صاحب ضريح ، وإذا بالحواريين يتوارثون الأسرار ويترجمون عنه من وراء الصفائح والأحجار ، وربما يمت ذرية الظبية بعدها — إن صح لها مقامها القدسي بالزواج — فغالى الناس في أثمانها وتفاخروا باقتنائها في المدائن والأمصار .